

....يتبع ابن خلدون

5- علم العمران:

اتجه ابن خلدون في أبحاثه إلى نوعين من البحوث تتمثل الأولى في بحوث الاجتماع الإنساني وما يتعلق بشؤون العمران وطبائعه. وقد تطرق إلى هذه الموضوعات في مؤلفه: "في التاريخ" وهو الكتاب الذي يعرف بكتاب العبر. وهنا تجلت عبقريته وظهرت ملامح نبوغه، وإليها ترجع أسباب شهرته، حيث ذاع صيته، وخلد اسمه في دفتر قادة الفكر العربي الإسلامي.

أثناء البحث الطويل لابن خلدون في شؤون الاجتماع الإنساني أسس علمه الجديد الذي لم يسبقه فيه أحد، ولعل أبرز ما انتهى إليه هو خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة مطردة، مثلها مثل الظواهر الطبيعية. فلما كانت ظواهر الكون تخضع لقوانين والظواهر الطبيعية هي الأخرى جزء من الظواهر الكونية، وتسير وفق قوانين معينة؛ فإن النتيجة الحتمية لذلك هي خضوع ظواهر الاجتماع الإنساني إلى قوانين تحكمها وتسير بمقتضاها، ولا تسير حسب الأهواء والمصادفات. ومن هنا بالضبط دخلت ظواهر الاجتماع حيز العلوم الوضعية بعد ما كانت خارجة في قرون مضت(14). أما النوع الثاني من البحوث التي اتجه إليها ابن خلدون فتتمثل في بحوث التاريخ التي اقتفت البحث في تاريخ الأمم العربية والبربرية، وقد وقف عند هذه البحوث في الكتابين الثاني والثالث من مؤلفه الشهير كتاب العبر.

يبدو أن هناك وجهة أخرى في دراسة الظواهر الاجتماعية لم يتفطن إليها المؤرخون السابقون على ابن خلدون حسب رأي هذا الأخير، وهي أن تدرس الظواهر الاجتماعية لا مجرد وصفها، أو الدعوة إليها، أو لبيان ما هي عليه، أو ما ينبغي أن تكون عليه؛ وإنما دراستها وتحليلها بشكل يؤدي إلى بيان طبيعتها وعوامل قيامها، والقوانين التي تخضع إليها كما يدرس علماء الفلك والكيمياء ووظائف الأعضاء والرياضة الظواهر الطبيعية. هذه الناحية من الدراسة لا تكون متاحة؛ إلا لمن اعتقد بأن الظواهر الاجتماعية لا تسير حسب الأهواء والمصادفات، وإنما تخضع لقوانين شأنها شأن الظواهر الطبيعية، هذه الحقيقة لم ينتبه إليها أحد من قبل؛ بل على النقيض من ذلك، حيث ساد اعتقاد بأن الظواهر الاجتماعية خاضعة لتوجيه الزعماء والمشرعين ودعاة الإصلاح؛ أما ابن خلدون فقد هدته تأملاته ومشاهداته لشؤون الاجتماع الإنساني إلى أنّ الظواهر الاجتماعية لا تشذ عن غيرها من ظواهر الكون. من هذا المنطلق اتضحت معالم العلم الجديد، عبرت عنه مقدمته وقد سماه بعلم العمران البشري أو علم الاجتماع الإنساني، وهو العلم الذي يطلق عليه اليوم "السوسيولوجيا". يقول ابن خلدون: "وكأنّ هذا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً"(15). وأما ما قصده ابن خلدون بكلمة "عوارض" أو ما يلحق المجتمع من "عوارض لذاته": وهي كلمة في الحقيقة استخدمها في مواطن وأجزاء عدة من المقدمة؛ ما نقصده نحن اليوم بكلمة "قوانين"، ويظهر هذا المعنى في حديثه عن علم الهندسة إذ يقول: "...هذا العلم هو النظر في المقادير أما المتصلة كالخطوط والسطح والحجم، وأما المنفصلة كالأعداد، وفيما يعرض له من العوارض الذاتية، مثل كل مثلث فزاياه مثل قائمتين، ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه، ولو خرجا إلى غير نهاية، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان..."(16). ويؤكد ابن خلدون على أن دراسة الظواهر الاجتماعية على هذا النحو لم يسبقه فيها أحد حيث يقول: "...واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة..."(17). ويضيف: "...وكانه علم مستنبط النشأة، ولعمري لم أقف على الكلام في

منحاه لأحد من الخليقة ما أدري ألفتهم عن ذلك؟ وليس الظن بهم...". (18). ثم يتحفظ ابن خلدون تحفظ العلماء المتواضعين على هذا القول فيؤكد: "أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا، فالعلوم كثيرة، والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر ممّا وصل..." (19).

6-الفائدة من العلم :

لقد استوحى ابن خلدون علمه الجديد من خلال مطالعته لكتب التاريخ، فكان يسعى باحثاً عن الدروس والعبر من الماضي؛ لاكتشاف ما يعينه على فهم الحاضر المتناقل بالأحداث، وبالتالي؛ فإنّ الطريقة التي سلكها المفكر في إنشاء علم العمران هي التاريخ، وبعبارة أدق، تلك العلاقة الوثيقة التي تربط بين الماضي والحاضر، فرأى في علمه طريقة يتحرى بها المؤرخون لتمحيص الأخبار المنقولة، وهكذا يعد علم العمران، من هذه الوجهة، أفضل أداة للمؤرخين لا غنى عنها، طبعاً، إذا أرادوا نقل صورة واضحة لمعاصريهم والأجيال اللاحقة أقرب ما تكون للحقيقة. وعن فائدة العلم يقول ابن خلدون: "وإن كانت مسأله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة، لكن ثمرته تصحيح الأخبار وهي ضعيفة" (29). إنّ موقفه هذا فيه نوع من الغموض والوضوح في وقت ذاته، فواضح من حيث تأكيد أنه ثمرته شريفة، فما معنى كلمة شريف هنا؟ يقول الغزالي في كتابه ميزان العمل: "إنّ شرف العلم يدرك بشيئين أحدهما شرف ثمرته، والآخر بوثاقه دلالتة". فالعلوم إمّا أن تنفع الإنسان في الدنيا والآخرة، وإمّا أن تكون شريفة؛ لأنّها تقدم خدمة كبيرة للعقل، حيث تشجع دافع الإنسان للمعرفة والاكتشاف، وتساعد على التقدم. إذن فعلم العمران من وجهة النظر الأولى شريف؛ لأنّ ثمرته تصحيح الأخبار، وهي تساعد الإنسان على فهم الماضي واستخلاص العبر منه، ولذلك كانت ثمرة هذا العلم ضعيفة؛ لأنه يقدم لنا فائدة بطريقة غير مباشرة، إذ تكون عبر التاريخ. (30).

إنّ علم العمران من وجهة نظر ابن خلدون علم يبحث في أحوال التمدن والعمران، وما تخضع له ظواهر الاجتماع الإنساني من قوانين؛ "وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية، وما يمتنع بعلل الكوائن وأسبابها" (31). تلك هي موضوعات هذا العلم، وذلك هو شرفها وصاحبها يقول: " ولم أترك شيئاً في أولية الأجيال والدول، وتعاصر الأمم الأول وأسباب التصرف والحوال، في القرون الخالية والملل، وما يعرض في العمران من دولة وملة، ومدينة وحلة، وعزة وذلة، وكثرة وقلة، وعلم وصناعة، وكسب وإضاعة، وأحوال متقلبة مشاعة، وبدو وحضر، وواقع منتظر..." (32). بهذه العبارات يوضح ابن خلدون هدف علمه وموضوعه وغاياته. فاستعمل مصطلح العمران ليشير به إلى مجموعة واسعة من الظواهر الاجتماعية التي تشمل المجتمع البدوي والحضري، والدول والخلافة والملك، والصنائع والمعاش والكسب ووجوهه، والعلوم واكتسابها وتعلمها. وهذه الأمثلة التي يقدمها ابن خلدون يلاحظ أنه اهتم بتحليل الظواهر الاجتماعية ولكنه لم يعرف هذه الظواهر أو يبين خصائصها. ويرى بعض العلماء أن ابن خلدون يقترب في فهمه لموضوع علم العمران من اميل دوركايم الذي ركز على أن المجتمع أكثر من مجموع الناس الذين يؤلفونه، فالمجتمع يشمل البناءات الاجتماعية التي تأخذ أشكالاً متنوعة كالمؤسسات والجماعات المهنية، والعادات والتقاليد. وفي هذا السياق يؤكد عبد القادر جغلول أن العمران بالنسبة لابن خلدون هو: "واقع لا يتحدد بالأفراد؛ بل بالبناءات والجماعات التي تكونه" (33). وينظر ابن خلدون إلى المجتمع الإنساني بنظرة كلية تقوم على أن السلوك الإنساني تحكمه قوانين تتولد عن تطور العمران البشري، فالتاريخ البشري فعالية حية، تلتئم في نطاقه وقائع الماضي والحاضر في إطار ترابط عليّ وطردى، واستقراء علمي، يجعل وقائع العمران البشري يرتبط بعضها ببعض من خلال القوانين الاستقرائية، وتشكّل نسقا علميا متكاملًا (34).

7- علم العمران: أهو علم الاجتماع اليوم؟

ينذهب الكثير من الباحثين إلى القول بأن علم العمران ينطبق تماما على الدراسات الاجتماعية الحديثة التي تعرف بالسوسيولوجيا اليوم. وبالتالي: يستحق ابن خلدون لقب منشئ علم الاجتماع أكثر من غيره؛ لأنّ هناك توافق من وجهة نظر هؤلاء بخصوص موضوع العلمين ومنهجيهما والغاية منهما. فموضوع علم العمران هو الاجتماع البشري ومنهجه علمي وضعي تجريبي، وغايته دراسة الظواهر الاجتماعية؛ من أجل الكشف عن القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية، ومن هذه الوجهة ينطبق علم العمران على علم الاجتماع.

وفي حالة تجاوز هذه المظاهر الشكلية ونفذنا إلى عمق التفكير الخلدوني للتعرف على تصوره هو لهذا العلم وحقيقة علمه، ومعرفة الإطار الذي موضعه فيه؛ نكون ضحية التردد في توأمة العمران البشري وعلم الاجتماع. فالشغل الشاغل الذي أخذ نصيبه الأكثر من الاهتمام هو تعاقب الدول وتزاحمها وأسباب قيامها وسقوطها، ولم يعن بالشؤون الاجتماعية في عمومها، فالمحور الذي تدور حوله أفكاره هو الدولة كما تصورها ودرسها تاريخيا واجتماعيا، ومن هذا المنطلق كان ابن خلدون يعنى بدراسة الظواهر تلك التي تؤدي إلى قيام الدول وسقوطها، وأما تلك التي تحدث من خلال النشاط الاجتماعي الفكري للحياة الحضرية والتي تعتبر الدولة دائما شرطا لوجودها؛ فإنّ صاحب المقدمة لا يولي لها أدنى اهتمام. فلا يعنى بدراسة الفرد ولا بالأسرة ولا بالعلاقات الاجتماعية. وبالرغم من أنّ أبحاثه تكاد تنصب في مجملها على المجتمع القبلي؛ إلاّ أنه لا يهتم بدراسة حياة القبيلة ولا بعلاقاتها الداخلية ولا بتقاليدها ولا بعاداتها؛ وإنّما يهتم بها خلال فترة معينة من حياتها (35). أي عندما تصبح قوة سياسية تتصارع مع القبائل الأخرى من أجل السلطة فقط. وبالتالي؛ فإنّ النتيجة التي يمكن الخروج بها هو أن أبحاث ابن خلدون تمتد عموديا أكثر من امتدادها أفقيا، وعليه فإنّ علم العمران الخلدوني أضيق من علم الاجتماع من الناحية الأفقية، ولكنه أعمق منه من الناحية العمودية (التاريخية). فبمقدار ما تمتد الدراسات الاجتماعية وتهتم بمختلف الظواهر الاجتماعية في تداخلها واتساعها ودون التقيد بالزمان والمكان؛ بمقدار ما يغوص علم العمران في تتبع ظاهرة اجتماعية بعينها هي الدولة خلال نشأتها وتطورها. ومن هذه الناحية يبدو أنّ علم العمران أقرب إلى التاريخ منه إلى علم الاجتماع. هل إذن نحن أمام فلسفة التاريخ؟

هناك الكثير من المفكرين الذين أخذوا بهذا الاعتقاد وعلى رأسهم المؤرخ البريطاني "ارنولد تونبي" و"روبرت فلينت". ولكن هل يعتبر العمران البشري فلسفة في التاريخ؟ يمكن القول أن ابن خلدون لم يكن يهدف إلى تفسير التاريخ ككل، وإنما كان يهدف إلى بيان العوامل التي تحكمت في حقبة تاريخية معينة هي تاريخ الإسلام على العموم والمغرب العربي على وجه الخصوص. كما أنّ الأساس الذي انطلق منه ابن خلدون لم يكن أساسا فلسفيا، بل سياسيا واجتماعيا، وحتى مفهوم طبائع العمران هو مفهوم ضيق من الناحية الفلسفية فلا يعني به قانونا عاما تخضع له جميع ظواهر الحياة. ومن ثمّ فجميع هذه النقاط تمنعنا من القول بأن علم العمران هو فلسفة في التاريخ (36).

8- ابن خلدون وطريقته في البحث:

لقد اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في مختلف الشعوب التي أتيج له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها، وعلى تعقب هذه الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة على عصره، وتعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ شعوب أخرى لم تتاح له الفرصة لا الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها. ثم الموازنة بين هذه الظواهر جميعها. والتأمل في مختلف شؤونها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية، وما تؤدبه من وظائف في

حياة الأفراد والجماعات، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض والعلاقات التي تربطها بما عداها من الظواهر الكونية، وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور، ثم الانتهاء من هذا جميعا إلى استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر في مختلف شئونها من قوانين. وفي بحثه للظواهر الاجتماعية يجتاز مرحلتين اثنتين: تتمثل أولاهما في ملاحظات حسية وتاريخية لظواهر الاجتماع، أي تتمثل في جمع المواد الأولية لموضوع بحثه من المشاهدات ومن بطون التاريخ، وتتمثل المرحلة الثانية في عمليات عقلية يجريها على هذه المواد الأولية، وبفضلها يصل إلى الغرض الذي يقصده من هذا العلم، وهو الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين وهذا هو جوهر المنهج الذي اتبعه، وهو المنهج الذي لا يزال حتى الوقت الحاضر عمدة الباحثين في علم الاجتماع، ويمكن تقسيم منهج ابن خلدون إلى قسمين:

القسم الأول: نقدي سلبي: أي التعرض إلى أخطاء الباحثين السابقين عليه متحليا بالتجرد

القسم الثاني: وهو منهج وصفي تحليلي أو ايجابي: اتبع فيه الأسس المنهجية التي ترشد الباحث للوصول إلى القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية، ويتشابه منهجه هذا مع منهج بيكون، الذي ينقسم منهجه أيضا إلى قسمين، أوله تجريد العقل من الأخطاء والثاني ايجابي " وهو عبارة عن القواعد المنطقية التي يسير بمقتضاها العقل في طريقه إلى كشف الحقائق ". وأساس هذا القسم الايجابي الملاحظة والتجربة والاستقراء المنهجية التي تشكل القسم الثاني فهي:

- يجب الاعتماد على الملاحظة المباشرة وما تؤدي إليه التجربة.
- يجب تفسير الظواهر وتحليلها واستخدام منطق التعليل.
- يجب الاعتماد على منطق المقارنة أو منهج البحث المقارن.
- يجب قياس الأخبار على أصول العادة وطبائع العمران، فلا يصح أن نأخذ أخبار الحوادث والأخبار كما تلقى علينا؛ بل يجب النظر إليها هل هي ممكنة الحدوث في حد ذاتها أو مستحيلة؟
- يجب دراسة تطور الظواهر والنظم العمرانية"

9- النظريات التي انتهت إليها المقدمة ونقد هذه النظريات:

انتهى ابن خلدون من دراسته للظواهر الاجتماعية إلى طائفة كبيرة من الأفكار والقوانين:

فمن دراسته للظواهر السياسية على سبيل المثال انتهى إلى عدة أفكار منها:

- " أن الملك والدول عامة إنما يحصلان بالقبيل والعصبية"
- " انه إذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية".
- أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين.
- " أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية".
- " أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ما تستحكم فيها دولة".

- أن الدولة لها أعمار طبيعية كأعمار الأشخاص".
 - "أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع".
 - "أن المغلوب مولع أبدا بالافتداء بالغالب".
 - ومن دراسته لظواهر الاقتصاد انتهى أيضا إلى عدة أفكار وقوانين منها:
 - "أن الفلاحة من معاش المستضعفين".
 - "أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري".
 - أن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها".
 - أن الصنائع إنما تستجد وتكثر إذا كثر طالها".
 - "أن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع
 - وفي دراسته للظواهر الموفولوجية " ظواهر البنية الاجتماعية" انتهى إلى عدة أفكار وقوانين منها:
 - "أن الدول أقدم من المدن والأمصار".
 - "أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار".
 - "أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة إنما يشيدها الملك الكبير".
 - "أن الأمصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاصها".
- 10- مصير علم العمران:**

هكذا أنشأ ابن خلدون علمه الجديد وانتهى منه، وكان له أمل كبير في أن يأتي ممن بعده ويقوم بتنقيح هذا العلم، إلا أن هذا العلم لم يلق الرواج الذي كان يستحقه في العالم العربي، إلا فيما يبدو عند "المقرزي" و"الاصبحي" و"ابن حجر العسقلاني". والغريب أن ابن خلدون اشتهر بتاريخه أكثر مما اشتهرت به مقدمته الذي ظلت مهملة طيلة قرون من الزمن من دون شرح ولا تفسير، وأما الأتراك فبدأ اهتمامهم بالمقدمة منذ القرن السابع عشر، وفي البلاد العربية لم تتوجه الأنظار إليها؛ إلا في أواخر القرن الماضي، حتى الاهتمام بها كان على شكل موضحة على حد تعبير "بوتول"، وربما كان ذلك بدافع التقليد، عندما شاهد العرب الأوروبيون يقبلون على تراث ابن خلدون ويترجمونه. وكان أول من نبه الأوروبيين إلى المقدمة هو المستشرق الفرنسي "دريلو" في مؤلفه "المكتبة الشرقية عام 1697م". إلا أنه لم يكن على علم بقيمة مقدمة ابن خلدون وأصالة تراثها. ولم يبدأ الاهتمام الجدي بابن خلدون؛ إلا في أواخر القرن التاسع عشر عندما أشاد الألماني "شولتز" عام 1812 بابن خلدون ولقبه بمنتسكيو العرب. ولقد كان للفرنسيين القسط الأكبر من الاهتمام. وربما يفسر ذلك بأن فرنسا كانت مستولية على الجزائر وتريد الاستحواذ على المناطق العربية، ومن ثم كانت بحاجة إلى وصف أوضاع تلك الشعوب وبيان طبيعتها وخصائصها، يضاف إلى ذلك أن علم الاجتماع الحديث كانت قد ظهرت إرهاباته الأولى في فرنسا عندما ألف "أجوست كونت" كتابا سماه بعلم الاجتماع (40).

11- المآخذ:

الكثير من القوانين التي انتهى إليها ابن خلدون لا تكاد تصدق إلا على الأمم التي لاحظها، وهي شعوب العرب والبربر والشعوب التي تشبهها في التكوين وشؤون الاجتماع، بل وتصدق إلا على هذه الأمم نفسها إلا في مرحلة خاصة من مراحل تاريخها وهي المرحلة التي شاهدها أو انتهى إليه علمه، فالخطأ الذي وقع فيه ابن خلدون يعود إلى نقص في استقراء الظواهر، بمعنى أنه لم يستقرى الظواهر إلا عند أمم معينة وفي عصور خاصة، ثم ظن أن الأفكار والقوانين التي انتهى إليها عامة تكاد تصدق على كل مجتمع وفي كل زمان ويؤخذ عليه أيضا أنه لم يوفق كل التوفيق في بحوثه الخاصة بالعلاقة بين الظواهر الاجتماعية وظواهر البيئة الجغرافية، إذ بالغ في آثار هذه البيئة في شؤون الاجتماع ونسب إليها أكثر مما لها في واقع الأمر

-خلاصة:

إن المعرفة الإنسانية هي مسألة اجتماعية لا يمكن أن تنفصل عن الواقع الاجتماعي، ولا يمكن أن تكتسب وتبنى إلا في المجتمع لقد ارتبط ظهور وتطور علم الاجتماع في البداية بظروف فكرية وموضوعية، استفاد المهتمون به مما تراكم من معرفة إنسانية، كما استجابوا للظروف الموضوعية التي فرضت القضايا والحلول المعرفية. فتم الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والثقافية بداية بالأساطير، ثم في الفلسفة، ثم في العلوم الاجتماعية؛ فاهتمت الأساطير ليس بمحاولة تفسير حدوث الكون فقط؛ وإنما بتفسير وجود الإنسان وتجمعاته وأماله ومخاوفه وعلاقاته ببيئته ومصيره بعد الحياة، وكانت تفسر الموجود بقوى غيبية خارجية، وبذلك تضمنت نمطا معرفيا غيبيا، وفي الوقت ذاته بيانات عن الوجود الطبيعي والاجتماعي وعلاقتها

في مقابل ذلك نمت معرفة أخرى موازية مبنية على الخبرات المباشرة للإنسان، تضمنت علاقته بالطبيعة ومواردها، ثم ما يترتب على هذه العلاقة والحاجات الإنسانية من تنظيمات اجتماعية شكلت في مجملها مع المعارف الأسطورية المعرفة الشعبية للجماعات. واستمر بحث الإنسان عبر الأزمنة، وقد لاقت تساؤلاته القديمة والجديدة استجابات تضمنت نمطا معرفيا جديدا برز فيه التأمل والحدس والخيال والتصورات الذاتية على أسس منطقية، ترتبط فيه المسلمات بالنتائج، ويقوم على الدليل والبرهان العقلي، وتمثل الفلسفة اليونانية هذا النمط المعرفي الميثافيزيقي، وقد ظهر بوضوح في كتابات أفلاطون(427-347ق م) في كتابه "الجمهورية"، الذي شمل تصورا مثاليا للدولة المدنية، كما بحث في البناء الاجتماعي فيها. ورغم طغيان هذا النمط الفكري؛ إلا أن هناك ممن استعان ببيانات امبريقية كما فعل أرسطو(384-322 ق م) في كتابه "السياسة"، حيث اعتمد في تحليلاته على القوانين التي كانت موجودة، واعتمد ارخميدس على التجربة. أما المفكرون المسلمون فجمعوا بين المعرفة التأملية والمعرفة القائمة على التجربة والواقع، وقد تمثل النمط الثاني في غالبه في العلوم الطبيعية والفلكية والطبية والبصريات

وقد تضمنت البحوث عند اليونان والمسلمين موضوعات تشكل المجتمعات والدولة وأنماطها وعلاقاتها وشرعيتها، والجماعات، وسبل العيش، والمهن وتنظيماتها. وشملت الكتابات التاريخية بيانات ومعلومات أحوال المجتمعات والدول وتطورها وعلاقاتها فخرج إلى هيرودوتس، والطبري وابن كثير، وسيرة ابن إسحاق وابن هشام. كما ساهم الرحالة في وصف حال المجتمعات والمدن والجماعات وحياتهم من خلال الملاحظات المباشرة. ورغم ذلك لم يظهر نسق معرفي خاص بالعمران والمجتمع، ولم يتحقق ذلك؛ إلا في القرن الرابع عشر للميلاد على يد عبد الرحمن ابن خلدون

يمكن القول إن المعرفة الإنسانية هي مسألة اجتماعية لا يمكن أن تنفصل عن الواقع الاجتماعي، ولا يمكن أن تكتسب وتبنى إلا في المجتمع الذي يعمل فيه الأفراد متعاونين ويعتمدون على بعضهم البعض، ويساهمون في بناء المعرفة الجديدة، والتي ما كان أن يبلغوها لو لم يكونوا على اتصال ببعضهم